

التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجاً

Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

المرفف الثاني د. أحمد نتوف

المؤلف الأول* ساره فالح محمد زويران الدوسري

nattofahmad@qu.edu.qa، كلية الآداب والعلوم – جامعة قطر،

sa1202895@qu.edu.qa، كلية الآداب والعلوم – جامعة قطر،

ملخص (لا يزيد عن عشرة أسطر)	Article info
يسلط هذا البحث الضوء على السرد القرآني وفق نظرية التحول الإشاري، لذلك حرصنا في بحثنا على دراسة القصص القرآنية وفق أدوات هذه النظرية والتي تنطلق من تحديد المراكز الإشارية ومكوناتها الأربعة، الزمانية والمكانية وهوية المتكلم والموضوع الذي يشكل نافذة الدخول للمراكز الإشارية في الأحداث التي تسردها الآيات، وترصد حركة المراكز الإشارية والمشيرات، والعمليات الإشارية التي يراها القارئ/ السامع فيها، ومن خلال ذلك يبرز دور نظرية التحول الإشاري كأداة تُعيد هيكلة الأحداث وترتيبها، وفقاً للشخصيات وتموضعها والزمان والمكان التي تشير إليه الآيات، واختارنا في تطبيقنا قصة (أصحاب الجنة) التي تم سردها في سورة القلم الآية 17 إلى 33.	تاريخ الاستلام: 2025/05/29 تاريخ القبول: 2025/06/28 التحول الإشاري، المركز الإشاري، الوضع الخطابي، القصة القرآنية، السرد القرآني.
Indicative transformation, indicative center, discursive situation, Quranic story, Quranic narration	This research sheds light on the Quranic narrative according to the theory of indicative transformation, so we were keen in our research to study the Quranic stories according to the tools of this theory, which starts from identifying the reference centers and their four components, temporal and spatial, the identity of the speaker and the subject that constitutes the entry window for the reference centers in the events narrated by the verses, and monitors the movement of the reference centers and signals, and the signaling processes that the reader / listener sees in them, and through that highlights the role of the theory of indicative transformation as a tool that restructures and arranges events, according to the characters and their position. And the time and place to which the verses refers, and we chose in our application the story (Companions of Paradise) that was narrated in Surat Al-Qalam, verses 17 to 33.

¹ ساره الدوسري المؤلف المرسل :

يُعد القرآن الكريم معجزة خالدة ، مفارقًا بأسلوبه الفريد الذي أدهش العرب والعجم لكل النصوص الأخرى على مر العصور. ومن الأساليب التي تفرّد بها القرآن الكريم هي أسلوب السرد القصصي ، الذي كان له الكثير من المعاني منها تثبيت فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ومنها عقد المقارنات بين أقوام سابقة، ومعرفة مآل القوم وما تحقق لهم من ثوابٍ أو نزل عليهم من عقاب، ولتكون العظة حاضرة في ذهن القارئ/السامع، ويكون قلبه متيقظًا حيًا، ويتم هذا السرد بحكمة وإبداع فني بليغ، يجمع ما بين العبرة والدلالة. والجدير بالذكر أن القصص في القرآن الكريم لا يقتصر دورها على نقل الأحداث، وليست هذه الغاية السامية وراء سردها، بل تعتمد آليات لغوية، وإدراكية دقيقة، يقرأها الإنسان فيشعر أنه المقصود بها، ولذلك اعتبر القرآن من الكتب التي تصلح لكل زمانٍ ومكان. ولأن هذه القصص تحتاج إلى تدبّر وتفكير، لا يحدث دون فهم سياق القصة وتموضع الشخصيات فيها، والزمان والمكان الذي تواجدت فيه، وهذا هو لبُّ هذه النظرية، فهي تستهدف دراسة المراكز الإشارية في السرد القرآني.

إن نظرية التحول الإشاري تمثل مدخلًا جديدًا لدراسة القصص القرآنية، حيث تسعى لفهم العلاقات اللغوية والدلالية التي يتم إنتاجها في عالم القصة النصي، ولأن هذه القصص تشكل جانبًا مهمًا من البناء النصي للقرآن الكريم؛ فإن هذا البحث جاء لإثبات الدور المحوري لهذه النظرية لاستنباط المعاني المتجذرة في عالم القصة القرآني، بالاستعانة بالمراكز الإشارية الشخصية والزمانية والمكانية والموضوعية، والتي يُشار إليها في التحليل بال (من)، وال (متى)، وال (أين)، وال (ماذا)، وسنأتي على شرحها وتبيين دور كلٍّ منها في بناء عالم القصة، وذلك بهدف تقديم قراءة تحليلية تُثري الدراسات اللغوية والإدراكية المعاصرة.

1- الإطار المنهجي:

1-1- إشكالية البحث :

يعد السرد القرآني للقصة نموذجًا فريدًا في عالم القصص، حيث يزخر بالرسائل الغنية بالمواعظ والعبر، وذلك من خلال أسلوب بليغ ومؤثر في القارئ/السامع، فيشعر أنه ليس معزولًا عن عالم القصة، بل يعيشه كأنه أحد شخصياته. ولكن ليحدث ذلك لا بد من أن يفهم الأحداث، والزمان، والمكان، والشخصيات التي وردت في هذا العالم، ويتتبع حركتها وتموضعها في القصة. ورغم تعدد الدراسات التي تناولت السرد القرآني للقصص، إلا أن فهم الأحداث في عالم القصة من خلال فهم المشيرات الزمانية والمكانية والموضوعية؛ يبرز دور السرد وقدرته

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجًا
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

على إيصال الرسائل. ولأن هذه المشيرات التي تتبناها نظرية التحول الإشاري وتهتم بالكشف عنها وربطها بسياق الآيات، يُطرح هنا سؤال إلى أي مدى يمكن لنظرية التحول الإشاري أن تعمق من السرد وتبرز جمالياته ودوره في تشكيل المعنى وإبراز مقاصده الإدراكية و العرفانية.

تبرز الإشكالية من خلال عدة عناصر تمثلت في :

1- فجوة البحث : قلة الدراسات التي ربطت بين نظرية التحول الإشاري وقدرتها على فك مغاليق النصوص القرآنية، وخاصة السرد في عالم القصة القرآنية.

2- أهمية الموضوع: بيان أثر التحول الإشاري في تعزيز الفهم الدلالي والإدراكي للسرد القرآني وخاصة القصص القرآنية .

3- حداثة النظرية: إمكانية نظرية التحول الإشاري رغم حداثة وقلة دارسيها أن تثبت أنها نظرية تصلح لدراسة السرد في القصص القرآنية .

2-1- أهداف البحث :

1- تقديم فهم مغاير للقصص القرآنية من خلال اتباع نظرية التحول الإشاري، ولذلك لاكتشاف أدق الأحداث المرتبطة بالمراكز الإشارية وحركتها في قصة أصحاب الجنة.

2- بيان دور نظرية التحول الإشاري في فهم الرسائل القرآنية وإبراز مقاصدها في قصة أصحاب الجنة.

3- دور التحول الإشاري في إثراء المعاني الإدراكية والدلالية من خلال دراستها في السياق.

ينطلق البحث من فحص عدة فرضيات والتأكد من وجهاتها بالنسبة لمنهج التحليل الذي يتبنى، من ضمنها:

1- تطبيق نظرية التحول الإشاري على القصص القرآنية يكشف عن مستويات جديدة من العمق الدلالي والإدراكي واللغوي.

2- المراكز الإشارية وتحولاتها تعمل على تحقيق الترابط بين الأحداث وتضفي عليها توازنًا واتساقًا.

3- نظرية التحول الإشاري تسهم في إبراز الجانب التربوي والوعظي للقصص.

وقد قاد الانطلاق من هذه الفرضيات إلى طرح العديد من الأسئلة، من بينها :

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجًا
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

- 1- سؤال البحث العام : ما مدى إفادة منهج التحول الإشاري في فهم السرد القرآني في القصص القرآنية؟
- 2- الأسئلة الفرعية : ما الدور الذي تؤديه نظرية التحول الإشاري في إثراء فهم القارئ/ السامع حول القصص القرآنية؟

2- الإطار النظري:

1-2- المفاهيم الرئيسة

2-1-1- المشير اللغوي

تشير المشيرات في اللغة بمعناها التقليدي إلى أن بعض الأشكال اللسانية لها تفسير تداولي مباشر يعتمد على قرائن الوضع الخطابي بدلاً من اعتماده على أي مؤدّى دلالي ثابت²، فيستخدم مصطلح المشير للدلالة على اللفظ أو العبارة التي تشير أو تحيل إلى شخص، أو مكان، أو زمان، أو موضوع، و تظهره أو تعرّفه بالاستعانة بالسياق والقرائن. والمشيرات في السرد نوعين³:

المقارنة	النوع التقليدي (المباشر أو الشفاف)	النوع غير التقليدي (غير المباشر أو الشفاف)
التعريف	هو ذلك النوع الذي يشير إلى شخصٍ بعينه أو زمان حدثٍ تلفظي أو مكانه بشكلٍ جلي دون غموض، وهذا الوضع لا يمثل مشقة على القارئ/ السامع في الوصول إلى مجريات الحدث أو الأشخاص المشار إليهم. ⁴	هذا النوع يحيل إلى الأشخاص وزمن الحدث التلفّظي، ومكانه، وموضوعه، ولكنها غير واضحة كما في النوع الأول فهي تحتاج إلى بذل جهد من القارئ/ السامع للتوصل إلى هذه المشيرات ، وتحليلها، وفهمها. ⁵

². زوبين، ديفيد أ، و لين إهيويت. (2021). المركز الإشاري: نظرية للمشيرات في السرد. ترجمة د. أحمد نتوف ونوارة عقيلة. الجزائر. مجلة خطابات، ع4، ص200.

³ نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري : قصة أصحاب الكهف أنموذجًا . قطر. مؤسسة وعي للنشر. مج1، ص139.

⁴ انظر مرجع سابق: نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري : قصة أصحاب الكهف أنموذجًا. ص139.

⁵ انظر المرجع نفسه، نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري : قصة أصحاب الكهف أنموذجًا. ص139.

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجًا
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

في هذا النوع تستخدم مشيرات تلفظية تفيد الإجماع مثل : (من سيأتي إلينا ؟) فسنجد أن الفعل : (يأتي) مشير مُبهم ، ذلك أننا لا نعرف من الذي سيأتي إلينا ؟ وهل سيأتي أم لا ؟ ومتى سيأتي ؟ فالكلام غير محدد وغير واضح.	يستخدم هذا النوع من المشيرات عادة مصطلح (أنا ، أنت) للإشارة إلى الشخصية، و (هنا) للإشارة إلى المكان ، و (الآن) للإشارة إلى الزمان .	المصطلحات المستخدمة
تتميز بخصوصية الجذب أو الانجذاب إلى مراكز الاهتمام أو التعاطف التي تتعلق بالمتكلم، والكلمات أو العبارات التي تتصف بهذه الخصوصية، وهي كما قلنا غير واضحة وتحتاج إلى تأويلات مختلفة واجتهاد من السامع/ القارئ لفهمها .	أحادية الدلالة ؛ أي ليس لها تفسيرات أو تأويلات أخرى فهي مباشرة وواضحة .	خصائص المشيرات

وبعد توضيح المعنى الدقيق للمشيريات ينبغي للقارئ أن يستعد لحركتها، فهي لا تستمر على حالٍ واحد طوال الحدث التلفظي، بل هي متغيرة وتنتقل من مُحالٍ إليه إلى مُحالٍ إليه آخر ، وهي في جملتها تُحيل إلى الأشخاص، أو الزمان، أو المكان ، أو موضوع الحدث، وكلها تتغير داخل العالم النصي أثناء السرد، وتتعاون المشيرات فيما بينها لتكوّن المركز الإشاري؛ فما المقصود به ؟ وممّ يتكون ؟⁶

2-1-2- المركز الإشاري

يشير هذا التعريف إلى تقاطع المشيرات الأربعة (الزمان / المكان / الشخصيات / الموضوع) أو أكثرها ، لتمنح السامع/ القارئ مركزًا يكشف عن طبيعة المتكلم، وكأن السامع/ القارئ يغوص في أفكاره وتخيالاته لينتقل إلى موقع داخل المشيرات الأربعة في العالم التخيلي، وهو عالم القصة، وينظر من زاوية يمنحه إياها المتكلم ليشاهد مركزًا إشاريًا مكونًا من المشيرات الأربعة المذكورة، وقد لا تكون كلها مجتمعة، بل يتواجد أغلبها. ومن خلال هذه الزاوية، يستطيع القارئ/ السامع أن يحدد تلك المشيرات ويرصد علاقتها بالمشيرات الأخرى، منطلقًا

⁶ انظر نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري : قصة أصحاب الكهف أنموذجًا . ص140

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجًا
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

للبحث عن ال (من) الذي يمثل الشخص، منتقلًا إلى ال (أين) فال (ماذا) ثم ال (متى)؛ فإن اتضحت تلك المشيرات أصبح القارئ متموضعًا ذهنيًا في عالم القصة، والجدير بالذكر أن تغيّر محتوى أحد المشيرات يُعد تحولًا إشاريًا⁷.

2-1-3- نظرية التحول الإشاري

يرى الباحثون في هذه النظرية أنّ المشيرات ليست مجرد مكوّن ثانوي في لغة السرد؛ بل هي إطار للبنية المركزية التي ينبثق منها السرد، وتفترض هذه النظرية أنّ عالم القصة ينطوي على أحداث الحكاية الخاص بها، والذي يتم سردها، وهذا العالم في الغالب هو بناء ذهنيّ للقارئ والسماع، ذلك أنهم يستدعون من معرفتهم اليومية بالعالم والعوالم الممكنة الأخرى إلى عالم القصة الذي يعرضه المؤلف/السارد، وهذا يوهّم القارئ/السماع بأنّه يعيش تلك اللحظة ذهنيًا داخل عالم متسق وخاص⁸.

ودور القارئ/السماع هنا هو تتبع تلك المشيرات والتحويلات التي تطرأ عليها في النصّ آليًا كما لو أنه تموضع داخل عالم القصة وعاش بين مراكزها الإشارية، وحين قيامه بذلك تصبح لديه مقدرة على فهم النص السردى بصورة أعمق، كما تصبح لديه استطاعة على تصور الجوّ العام في المراكز الإشارية؛ فيعيش التجربة ويشعر بالفرح إذا فرح أصحاب القصة، ويحزن إذا حزنوا⁹.

إذًا يمكن للقارئ/السماع الانخراط في ما يقرأه لدرجة أنه يفقد مكانه في العالم الفيزيائي، ويبدأ بإدراك الأحداث في عالم القصة كما لو كانت قادمة من وجهة نظر عالم نصي، والجدير بالذكر أن القراء يشعرون بهذه التجربة ويندججون في عالم القصة كما لو كانوا جزءًا منه ويستمتعون بها. إنّها تشبه العدسة المنظمة وتحدد ما يتم رؤيته، ومن يراه، ومتى وأين تتم هذه الرؤية¹⁰.

إن نظرية التحول الإشاري هي فعل لإظهار كيفية تفاعل القراء بشكل كامل في السرد، إلى درجة أن يجعلهم ذلك يفسرون الأحداث كما لو كانوا متواجدين في موقع داخل عالم القصة¹¹. وهذا يحدث نتيجة لانتقالات الإشارة داخل السرد، وتغيّر مركز الإشارة باستمرار مما يترتب عليه تغييرات في وجهة نظر القراء.

⁷ انظر مرجع سابق. نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري: قصة أصحاب الكهف أنموذجًا. ص141

⁸ انظر المرجع نفسه، نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري: قصة أصحاب الكهف أنموذجًا. ص141

⁹ انظر المرجع نفسه، نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري: قصة أصحاب الكهف أنموذجًا. ص141

¹⁰ انظر: جبر، عبد الحسن شريف. (2021). نظرية التحول الإشاري في حكاية مارغريت أتوود "الخادمة": تحليل أسلوبي ادراكي. العراق. الجمعية العلمية للدراسات التربوية

المستدامة. مج6، ع1، ص1158 - 1159

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجًا
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

إن من يسرد الحكاية ((يفصل العلامة اللسانية للمشيريات عن الوضع الخطابي ويعيد توجيهها إلى الشخصيات الرئيسة والمواقع والوقت الحاضر المتخيل لعالم القصة ذاتها))¹² ، وخلاصة الأمر أن القصة تغلق أبوابها على القارئ/السامع وتنقله إلى عالمها بتراجع من يسرد الحكاية، فينفصل القارئ/السامع عن العالم الواقعي، ويذهب في دهاليز عالم القصة، ليعيش الأحداث، وتصبح مشيرات القصة جزءًا منه دون وعي.

وتأسيسًا على ما سبق، يمكن القول إن المركز الإشاري النموذجي يتكون من أربعة مشيرات هي : المتعلقة بالشخصيات التي يشار إليها بال (من) ، والزمانية التي يشار إليها بال (متى) ، والمكانية التي يشار إليها بال (أين) ، وأخيرًا المتعلقة بالموضوع في الحدث التي يشار إليها بال (ماذا) ، وفيه تتقاطع الإحداثيات الأخرى (الزمان والمكان والشخصية) لتكوّن ما يسمى بمنظور التبئير أو نشوء المشهد، وإنه بصورة أوضح يشبه زاوية الكاميرا حيث يوجهها المصوّر إلى شيء معين، فبحبرته يستطيع التركيز على لقطة معينة أو مشهد معين دون الآخر، وهذا لا يعني أن هذه اللقطة حصرية ولا يوجد شيء حولها، إنما هي رغبته في تسليط الضوء على هذه الزاوية دون غيرها، كذلك الحال في سرد القصة، فالسارد يُريدنا أن ننظر إلى الحكاية من منظوره هو فيركز على أحداث معينة دون غيرها تسمى منظورًا مبدئيًا ، وعلى هذا الأساس نجد أن القارئ/السامع يجد نفسه بين بؤرتين : الأولى تسمى منشأ المنظور ، والثانية تسمى محتواه¹³.

1- منشأ المنظور (تبئير المنظور) : ويقصد به تحول تموضع الزمان والمكان والشخص الذي يعرضه عالم القصة إلى القارئ/السامع، وتأسيس آراء حول أحداث القصة.

2- محتوى المنظور (المبأر) : يقصد به بيان محتوى النافذة الإشارية والتي تتحرك على طول إحداثياتها المكانية والزمانية والشخصية في عالم القصة. ويمثل هذا المحتوى المكاني والزمني والشخصي وموضوع القصة كما يراها القارئ/السامع من خلال النافذة الإشارية.

2-2- العمليات الإشارية

¹¹ انظر: غني، علي عبد الله. (2019). دراسة لنظرية الانتقال الإشاري بوصفه منهجًا أسلوبياً في تحليل وجهة النظر في الخطاب السردى. بغداد. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية. مج58، ع2، ص142

¹² مرجع سابق، نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري: قصة أصحاب الكهف أنموذجًا. ص142

¹³ مرجع سابق: نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري: قصة أصحاب الكهف أنموذجًا. ص143

لتنظيم سيرورة سرد الأحداث في نظرية التحول الإشاري؛ فإننا بحاجة لاستخدام المكونات الأساسية الأربعة للمركز الإشاري والمشار إليها بـ (المن)، والـ(أين)، والـ(متى)، والـ(ماذا)، فكل مكون من هذه المكونات له وضع مختلف في أزمنة مختلفة في السرد، وكلها لها محتوى حالي وتاريخي، وفيما يلي تفصيل أكثر لدور كل واحد من هذه المراكز:

2-2-1- (المن): بنية المشارك في السرد:

هو المشارك الذي يكون محور السرد في وسط نافذة المركز الإشاري، ووظيفة المركز الإشاري أن يبين هويته وسلوكه، ووضعيته الإدراكية والعرفانية، وقد يكون هذا المشارك شخصًا واحدًا أو مجموعة أشخاص مشاركين في الحدث، أو حتى كتلة غير متبلورة لتجمع ما، أو مجتمع تحدث فيه القصة¹⁴. تنقسم الـ من في هذه النظرية إلى قسمين هما:

- (من) التبئير أو (من) المُبَار: يمثل الشخصية التي شاركت في السرد، ومثلت أفكارها أو تصوراتها في الأحداث، أو من يكون رأيه مُضمَّنًا في المشهد، والجدير بالذكر أن هذه الشخصية موجودة منذ نشأة التبئير الإشاري. وبالتالي تُشكل هذا الشخصية محور السرد في عالم القصة، وأساسًا لنشأة المركز الإشاري.

- (من) المِبَارَة: هو الشخصية الذي تركز عليه (من) التبئير، وتشبه الـ(من) الموصوفة لاحقًا. والجدير بالذكر أن هذه الـ(من) تشبه إلى حدٍ ما الدور الذي تؤديه الـ(ماذا)؛ ذلك أنها تتبع الأشخاص والأشياء في عالم القصة، ولكن ليس بالضرورة حدوث ذلك. وعادة ما تكون (من) التبئير، ومن (المِبَارَة) شخصيتين مستقلتين كل واحد منهما تعمل على حدا، تُقدم إحدهما وتُراقب ويُستمع إليها وتُقيّم من منظور الأخرى¹⁵.

- تاريخ الـ (من): تعرض النافذة الإشارية (من) الحالية، أي الشخصية التي تتمحور حولها القصة للقارئ/السامع، ولكنه يستطيع مراعاة كل من يمثل (من) أي كل الشخصيات في عالم القصة، وهذا ما يسمى بتاريخ الـ(من). هذا التمثيل يتضمن خصائص المشاركين باعتبارها ذات طبيعة تراكمية في السرد، فهي ملازمة لكل مشارك مع قيم جزئية للمكونات الأخرى، أي بمشاهد وأزمنة جزئية. هذا الأمر يُمكن القارئ/السامع من استدعاء الـ(من) التي تُتبع سابقًا بسهولة أكبر إذ تمكّن القارئ/السامع من الوصول إلى ذاكرة المراكز الإشارية السابقة.

¹⁵ انظر مرجع سابق: زوبين، ديفيد أ، و لين إ. هيويت. (2021). المركز الإشاري: نظرية للمشيريات في السرد. ترجمة أحمد تنوف و نورة محمد عقيلة. ص 204

وغالبًا ما تكون الـ (من) الحالية هي موضوع السرد المقصود، وقد يكون لها فكر أو تصور أو شعور مرتبط بالقصة، ومن خلال هذه الخصائص نستطيع التمييز بين الـ (من) والـ (ماذا)¹⁶.

2-2-2-2 الـ (ماذا): بنية الكائن في السرد:

يعبر الـ (ماذا) عن المفهوم المتحقق، ويتجلى هذا المفهوم عندما يكون فاعلاً أو متأثراً بتفاعل المشاركين في الحدث السردى، وقد تصبح الـ (ماذا) هي الموضوع المطروح من قبل الـ (من)؛ وهذا بلا شك يساعد على المضي في أحداث القصة.

- تاريخ الـ (ماذا): قد يكون للـ (ماذا) تاريخ، ويكون ذلك من خلال مراكمة معلومات الأحداث، والشخصيات، والأماكن، والأزمنة داخل عالم القصة، وربطها ببعضها البعض. والجدير بالذكر أنه رغم إمكانية أن يكون للـ (ماذا) تاريخ تتبعي إلا أنه إشاريًا يكون أضعف من قدرة الـ (من) في التتبع. و للـ (ماذا) القدرة على التغيير أكثر، مقارنة بمكونات المركز الإشاري الأخرى¹⁷.

2-2-3-3 الـ (أين): البنية المكانية للسرد:

يبحث مشير الـ (الأين) في المشهد المكاني الآني للمركز الإشاري، وقد يكون غير مُعلنًا صراحة في السرد، فيقوم القارئ/السامع بملء التفاصيل ليتبين الخلفية المكانية للسرد في عالم القصة، ويتركز عادة في نشأة المنظور ومن خلاله يتصور لنا المشهد، ونستطيع مشاهدته. وقد يكون الـ (الأين) مُحددًا بدقة، أو قد يكون تموقعًا افتراضيًا¹⁸.

- تاريخ الـ (الأين): يُعنى بالأثر الذي يتركه الـ (الأين) في المشاهد وعبرها، ويظهر عند التمرکز المكاني المملوء بالأحداث في المشاهد المختلفة في عالم القصة، ومساره المتبع يربط بين المشهد الحالي بالمشاهد السابقة في القصة.

2-2-4-4 الـ (متى): البنية الزمانية للسرد:

يُمثل الـ (متى) المشهد الزماني في السرد، ورغم أن تحديده ليس صعبًا، إلا أن الأحداث لا تتسلسل ببساطة من نقطة إلى أخرى كما هو مقترح في النماذج المبكرة للسرد؛ ذلك أن المشيرات الزمانية تترابط بعلاقات معقدة ويمكن أن يتم استحضار عدة أزمنة في مشهد سردي واحد. ومن الجدير بالذكر أن السرد مكتوب في الزمن الماضي، ولكن من خصوصياته أن أحداثه لا تأخذ مكانًا في أي زمن حقيقي مضى،

¹⁶ انظر المرجع نفسه. ص 204

¹⁷ انظر مرجع سابق: زوبين، ديفيد أ، و لين إ. هيويت. (2021). المركز الإشاري: نظرية للمشيرات في السرد. ترجمة أحمد تنوف و نورة محمد عقيلة. ص 205

¹⁸ انظر المرجع نفسه. ص 205

وهذه الخاصية مهمة للمركز الإشاري أو التحول الإشاري، وذلك يعني أن القارئ/السامع يعتبر أن صيغة الماضي في السرد إشارة من إشارات التحول داخل عالم القصة، بدل أن يكون إشارة للزمن الماضي.¹⁹

- تاريخ ال(متى): يشير إلى الزمن الذي يتراكم في السرد، وبدوره يؤثر على الأحداث وسياقها. وتصدر الإشارة إلى أن التراكم الزمني يجعل الأحداث أكثر فاعلية، ويشري عالم القصة ؛ ذلك أنها تعكس ماضيًا غنيًا بالرموز والدلالات.

3. الإطار التطبيقي

1-3- قصة أصحاب الجنة:

1-1-3- الآيات الكريمة:

وردت هذه القصة في سورة القلم ابتداءً من الآية: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَنْتُونَ (18) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (21) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (22) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (23) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (24) وَغَدَوَا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (25) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ (30) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32) كَذَلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33)} .

2-1-3- تحليل القصة

بدأت قصة أصحاب الجنة بأن عقد الله تعالى مقارنة شبه فيها حال مشركي مكة، بحال أصحاب الجنة الذين توردوا على نعمه ووجدوها، ويعبر عز و جل عن ابتلائه لأهل مكة بالجوع والقحط بسبب تكذيبهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال الإمام الطبراني (ت 360 هـ) : " ابتلى الله أهل مكة بالجوع كما ابتلى أصحاب الجنة، وهم قوم في اليمن ورثوا بستاناً عن آبائهم الصالحين الذين كانوا

¹⁹ انظر مرجع سابق: زوبين، ديفيد أ، و لين إ. هيويت. (2021). المركز الإشاري: نظرية للمشيريات في السرد. ترجمة أحمد تنوف و نورة محمد عقيلة. ص 206-207

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجًا
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

يُخصّصون جزءًا من ثمار البستان للمساكين وأبناء السبيل²⁰. وأشار ابن أبي زمنين (ت 399هـ) إلى أن الجنة كانت تُعرف بـ "الصريم" وكانت قرية من صنعاء²¹.

فيقول الله تعالى: إِنَّا ابْتَلَيْنَا مُشْرِكِي مَكَّةَ، أَيِ اخْتَبَرْنَاهُمْ كَمَا ابْتَلَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ بِاخْتِبَارٍ عَظِيمٍ، وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا يَعِيشُونَ قَرِبَ صَنْعَاءَ فِي الْيَمَنِ. ذَكَرَ مِقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ (ت 150هـ): أَنَّ الْجَنَّةَ كَانَتْ تَحْوِي نَخْلًا وَزَرْعًا وَأَعْنَابَ، وَرِثَهَا الْأَبْنَاءُ عَنْ آبَائِهِمُ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ كَانُوا يُخَصِّصُونَ نَصِيبًا لِلْمَسَاكِينِ مِمَّا أَخْطَأَهُ الْمَنْجَلُ أَوْ ذَرَّتَهُ الرِّيحُ أَوْ بَقِيَ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا أَنَّ الْأَبْنَاءَ قَالُوا: كَثُرَتِ الْعِيَالُ، وَهَذَا طَعَامُ كَثِيرٍ، فَاتَّفَقُوا عَلَى حَرَمَانِ الْمَسَاكِينِ وَأَقْسَمُوا أَنْ يَجْنُوا الصَّرَامَ بِسَرِيَّةٍ تَامَةٍ فِي الصَّبَاحِ دُونَ أَنْ يَقُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَارًا لَيْلًا أَحْرَقَتِ الْجَنَّةَ، حَتَّى أَصْبَحَتْ سُودَاءَ كَالصَّرِيمِ²².

أوضح الطبراني أن هؤلاء الأبناء عندما انطلقوا إلى العمل في جَنِّي الثمار صباحًا، كانوا يتحدثون سرًّا بآلٍ يسمحوا للمساكين بدخولها، ولكنهم عند وصولهم وجدوا الجنة محترقة، فظنوا أنهم قد ضلوا الطريق، ثم أدركوا أنها جنتهم التي أُهلكت، فقالوا: بل نحن محرومون. كان هذا الابتلاء مشاهدًا لما حدث لقريش الذين عاندوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فدعا عليهم النبي قائلاً: "اللهم اشدّد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسنيين يوسف"، فابتلاههم الله بالجوع والقحط سبع سنوات²³.

أضاف ابن أبي زمنين أن الأبناء لم يدركوا في البداية أن ما أصابهم كان عقوبة إلهية. وعندما تأكدوا أن جنتهم أُهلكت، تذكروا تحالفهم على حرمان المساكين دون أن يقولوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فاعترفوا بخطئهم وقالوا: هذا جزاء بخلنا وتقصيرنا. ضرب الله هذا المثل لأهل مكة ليعتبروا، وليدركوا أن عذاب الآخرة أشد وأعظم من عذاب الدنيا²⁴.

3-1-3- تحليل القصة وفق نظرية التحول الإشاري

²⁰ الإمام الطبراني. (ت 360هـ). التفسير الكبير. (سورة القلم، الآيات 17-33). موقع التفاسير. الدخول بتاريخ 2024/12/2
²¹ ابن أبي زمنين. (ت 399هـ). تفسير القرآن العزيز. (سورة القلم، الآيات 17-33). موقع التفاسير. الدخول بتاريخ 2024/12/2
²² انظر مقاتل بن سليمان. (ت 150هـ). تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة القلم، الآيات 17-33). موقع التفاسير. الدخول بتاريخ 2024/12/2
²³ انظر مرجع سابق: الإمام الطبراني. (ت 360هـ). التفسير الكبير. (سورة القلم، الآيات 17-33). موقع التفاسير. الدخول بتاريخ 2024/12/2
²⁴ انظر مرجع سابق: ابن أبي زمنين. (ت 399هـ). تفسير القرآن العزيز. (سورة القلم، الآيات 17-33). موقع التفاسير. الدخول بتاريخ 2024/12/2

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجًا
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

المركز أو الوضع الخطابي	بداية التعبير عن المركز ونهايته	ال (من)	ال (ماذا)	ال (متى)	ال (أين)	حركة المراكز الإشارية
وضع خطابي	إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ	الوضع الخطابي : إخبار الله لرسوله عن القصة التي سترد فيها المراكز الإشارية.				
مركز إشاري صغير	إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرِفُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَنْتُونَ	أصحاب المزرعة	الاستفراد بالصرام (الثمار) دون الفقراء والمحتاجين.	غير مذكور والمتوقع أنه في الليل	متوقع أنه في المنزل	بداية المركز
مركز إشاري كبير	فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ	الطائف (الآفة)	إهلاك المزرعة وتحولها إلى السواد.	وقت نومهم / في الليل	داخل الجنة	تحول
مركز إشاري صغير	فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (21) أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ خُزْيُكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ	أصحاب المزرعة	ندائهم لبعضهم البعض والاستعداد لخيي الصرام (الثمار) .	وقت الصباح	خارج المزرعة	تحول
مركز إشاري صغير	فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ	أصحاب المزرعة	الانطلاق إلى المزرعة و التحدث بصوت منخفض.	وقت الصباح	الطريق إلى المزرعة	تحول
مركز إشاري صغير	أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ	أصحاب المزرعة	الإقسام بعدم دخول الفقراء والمحتاجين المزرعة.	وقت الصباح	الطريق إلى المزرعة	استمرار
مركز إشاري صغير	وَعَدُوا عَلَى حَزْرٍ قَادِرِينَ	أصحاب المزرعة	تيقنهم من مرادهم وقصدهم.	وقت الصباح	الطريق إلى المزرعة	استمرار
مركز إشاري كبير	فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28) قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29)	أصحاب المزرعة	ظنهم أنهم أخطأوا الطريق، ومن ثم عرفوا أنهم ظلموا أنفسهم، ورجعوا إلى الله.	وقت الصباح وتحديدًا بعد الآفة التي لحقت بمزرعتهم	داخل المزرعة	تحول
مركز إشاري كبير	فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ (30) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32)	أصحاب المزرعة	لومهم لبعضهم البعض، و اعترافهم بالطغيان على حقوق الفقراء و إعلاهم التوبة، ورغبتهم في أن يعطيهم ربهم خيرًا من جنتهم الأولى.	وقت الصباح وتحديدًا بعد الآفة التي لحقت بمزرعتهم	داخل المزرعة	استمرار
وضع خطابي	كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ	الوضع خطابي : خاتمة القصة مع التهديد والوعيد للظالمين .				

1,2,3 تفصيل التحول الإشاري في القصة

الوضع الخطابي الأول يبدأ بقوله: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}، والمقصود بالوضع الخطابي: ((هو ما يفهم منه بأنه مُتعلّق بالقصة أو تعليق عليها دون ذكر المشيرات وتفاعلاتها ، وهو أيضاً أيّ وصف للقصة يورده المخبر بها أو الراوي لها، أو عظة يذكرها أو حديث عن مضرب إيرادها))²⁵، ونلاحظ أن الوضع الخطابي ظهر في الآيات الكريمة بحوار بين الذات الإلهية والنبي محمد صلى الله عليه وسلم . فيبدأ عزوجل بنون التوكيد في الآية (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ) ليؤكد على الخبر الذي سيأتي في الآيات القادمة ، وقربه الشديد من حال المشركين المقصودين بضمير (هم) . فهو يعقد مقارنة بينهم وبين أصحاب القصة التي سيذكرها لاحقاً ، وهي قصة (أصحاب الجنة)، فهو يقول : إِنَّا اختبرنا مشركي مكة بالإغداق عليهم بالخيرات والنعم، فننظر هل يعودون عن شركهم ويؤمنون بصاحب الفضل والنعم ؟ أم يفعلون كما فعل أصحاب الجنة؟

ثم يبدأ المركز الإشاري الأول، وتعبّر عنه تنمة الآية السابقة {إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَنْتُونَ}، ومن هنا تم فصل المشيرات من الوضع الخطابي، وانطلقنا في عالم القصة عن طريق نافذة المراكز الإشارية، أي أنه انتقال من الحديث عن القصة إلى القصة ذاتها وعالمها النصي ، وهذا استدعاء للقارئ/السامع ليحضر ذهنه ، ويأتي بمعارفه اليومية بالعالم والعوالم الممكنة إلى عالم القصة الحالي ليبنى تصوره لها . ووفقاً لنظرية التحول الإشاري، فإن أي قصة قادرة على خلق وهم يُشعر القارئ بأنه يعيش أحداثها بشكل مباشر. فيميل دون وعي إلى تبني مشيرات المركز الإشاري²⁶ ، مما يجعله يتعمق في السرد والأحداث. والجدير بالذكر أن القصة في القرآن الكريم لم تبدأ أحداثها من صاحب الجنة الأول ، والذي كان له الفضل في إيواء الفقراء والمساكين، و اغداقهم بخيرات المزرعة وثمارها، بل بدأت مباشرة بقصة أبنائه المشار إليها بلقب "أصحاب الجنة" ؛ والسبب في ذلك يعود إلى بداية الآية الكريمة، والتي عقدت مقارنة بينهم وبين مشركي مكة، وتم الإشارة إليهم بأن أحوالهم متشابهة، إذا لم يتحولوا عن جحودهم، إذ تعد هذه الآية بداية المركز الإشاري في سرد القصة. بدأ الحوار بين الإخوة أصحاب المزرعة، ويُشار إليهم بال (من) في المراكز الإشارية؛ لأنهم من قام بالحدث في الآية الكريمة {إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَنْتُونَ}.

²⁵نتوف، أحمد. (2021). التحول الإشاري في القصص القرآني – قصة صاحب الجنيتين نموذجًا. الجزائر. مجلة حوليات الآداب واللغة. مج9، ع19-03 أكتوبر 2021،

²⁶انظر مرجع سابق نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري: قصة أصحاب الكهف أنموذجًا. ص147

وأما المشير الزماني وهو ال (متى) فهو غير معلوم بصورة جلية في الآية الكريمة، ولكنه يظهر أنهم يتحدثون بخطتهم ليلاً ، ذلك أن تنفيذها سيكون في الصباح، فدلّت عليه الآية في كلمة (مُصْبِحِينَ) أي داخلين في الصباح، أوائل الفجر²⁷.

وفي الإشارة إلى الموضوع : ال(ماذا) ؛ فهو ما يتحدث عنه المشاركون في القصة، وهو الإقسام بجَنِّي الصَّرام (ثمار المزرعة) في الصباح الباكر ، وفي قوله: (يَسْتَتْنُونَ) ظهر الغرض الرئيسي من خطتهم وهي عدم إبقاء أي شيء من هذه الثمار للفقراء والمساكين، واتباع عادة والدهم الذي كان مؤمناً بركة الفقراء، ولم يخل عليهم بها. وذهب بعض المفسرين أن قولهم لا يستتنون من قبيل الإدماج، أي لمبلغ غرورهم بقوة أنفسهم ؛ فظنّوا أن لا عائق سيقف في طريق تنفيذهم لهذا المخطط . والتعبير بالفعل المضارع لاستحضار حالتهم العجيبة من بخلهم على الفقراء والأيتام.

أما ال (الأيّن) الذي يشير إلى المكان فهو غير مذكور صراحةً في الآية، ولكن كلمة "مصبحين" دلّت أن تخطيطهم كان في الليل، ومن المتوقع أنه في تمّ في البيت قبيل نومهم، والدليل الآخر على ذلك الآية التي تلت ذلك وهي أن العذاب طاف بالمزرعة وهم نائمون. وفي الروايات كلها أن أهل هذه المزرعة لم يكونوا كفاراً، فعقد المقارنة بينهم وبين المشركين المضروب لهم هذا المثل هو بطل النعمة والاعتزاز بالقوة.²⁸

يأتي بعد ذلك المركز الإشاري الثاني لا زال متعلقاً بسرد القصة نفسها، فبعد أن بينت الآية السابقة النية التي عقدها أصحاب المزرعة، وعزمهم على تنفيذها في الصباح، جاء الرد الإلهي عليهم من فوق السماوات بلمح البصر، قال تعالى : {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ}. فالمركز الإشاري الزماني ال(متى) يشير إلى أن الوقت الذي طاف به الطائف (الآفة) هو الليل نفسه الذي خطط فيه الإخوة. فكأن الله لم يبيّن لهم العقوبة ؛ جزاءً لهم على سوء نيتهم وتجبرهم على النعمة.

والطواف هو المشي حول الشيء من كل جوانبه ، يقال طاف بالكعبة، ويقول الله تعالى: {إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ} – سورة الأعراف [201].

²⁷ ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت 1973 م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). موقع إسلام ويب. ص 81. الدخول بتاريخ 2024/11/22

²⁸ انظر المرجع نفسه: ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت 1973 م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). ص 82

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجاً
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

ولم يعيّن جنس الطائف ، ويظهر أنه من جنس ما يصيب الجنّات من الهلاك. وقوله وهم نائمون تقييد لوقت الطائف، يقول الفراء : إن الطائف لا يكون إلا بالليل ، ومنه سمي الخيال الذي يراه النائم طيفاً²⁹.

أما ال (من) في هذه الآية فانقسمت إلى من التبئير : وهي تشير إلى من قام بالفعل أو الحدث ، وفي هذه الآية من التبئير هو العذاب الذي نزل بالمرزعة من الله ، أما من المبارة : وهي التي وقع عليها الفعل أو الحدث ، هي المرزعة نفسها. {مَنْ رَبُّكَ} أي جاء من قبل ربك، فمن هنا تفيد الابتداء، أي بدأ العذاب من ربك وأرسل على المرزعة عقاباً لأصحابها . وعجل لهم العقاب قبل شروعهم في مخططهم بمنع الصدقة.

أما ال (ماذا) هنا فهو سرد الآية الكريمة ووصفها للعذاب الذي وقع بالمرزعة ، والصريم هو الحال الذي آلت إليه المرزعة نتيجة ما لحق بها من الآفة ، والصريم من صرم ينصرم فهو مُنصرِمٌ، وهو اسم من أسماء الليل والنهار؛ لأن كل واحد منهما ينصرم عن الآخر. والمعنى هو تحولها إلى السواد الشديد بسبب الآفة التي أهلكتها. قال مقاتل بعث الله ناراً بالليل على جنتهم ؛ فأحرقها حتى صارت مسودة³⁰.

وال (أين) التي توجهنا إلى الإشارة المكانية تفيد وقوع العذاب في المرزعة ؛ ذلك أن العذاب لحق بها وطاف عليها من جميع أرجائها ، ونستدل على المكان من ضمير الهاء في (عليها) هنا ترجع إلى المرزعة في الآية الكريمة {كَمَا بَلَّوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} و أيضاً {لَيَصْرُمُنَّهَا} كلها ترجع إلى المرزعة.

أما عن حركة المراكز الإشارية فهي تحوّل ؛ ذلك أننا تحوّلنا عن التحدث عن ال (من) من أصحاب المرزعة إلى التحدث عن الطائف وهو العذاب فأصبح هو (المن) ، وتحوّل ال (أين) الذي توقعناه من الآية السابقة أنه خارج الجنة وبالتحديد في منزل الإخوة إلى التحدث عن المرزعة نفسها التي أصبحت مسرح الأحداث في السرد، وأيضاً الموضوع بالإشارة إلى ال (ماذا) تحوّلنا عن الاتفاقية التي عقدها الإخوة بينهم إلى التحدث عن الآفة السماوية التي لحقت بالمرزعة.

وفي المركز الإشاري الثالث نرى المشيرات قد تحوّل ، فال(متى) هنا تفيد وقت الصباح، ونستدل على تحول الوقت من الليل إلى الصباح من خلال الآية: {فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ}.

²⁹ أنظر مرجع سابق: ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت1973 م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). موقع إسلام ويب. ص82. الدخول بتاريخ

2024/11/22

³⁰ أنظر المرجع نفسه: ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت1973 م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). ص82

أما ال (ماذا) فهو أنهم أخذوا ينادون بعضهم البعض استعداداً للانطلاق إلى المزرعة و جني الثمار {أَنْ اَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ}.
و ال(أين) غير مذكورة، ولكنها تفيد قطعاً أنهم خارج المزرعة في ذلك الوقت ، والمتوقع أنهم لا يزالون في المنزل.

حركة المراكز الإشارية في هذه الآية هي التحول فقد تغير المشير الزمني ال (متى) من وقت الليل إلى الصباح، وتغير المشير المكاني ال (أين) من داخل المزرعة إلى خارجها، وتغير ال(من) من الطائف إلى العودة إلى الحديث عن أصحاب المزرعة، أيضاً تغير ال (ماذا) من الحديث عن العذاب الذي لحق بالمزرعة إلى تسليط الضوء على مشهد أصحاب المزرعة واستعدادهم لجني الثمار.

وفي المركز الإشاري الرابع الذي ارتبط ظهوره بهذه الآية {فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ}، ف (من) هنا تفيد أن الآية لا تزال تتحدث عن أصحاب المزرعة ، ونستدل على ذلك من الضمير (هُمْ) الذي يعود على أول آية وردت في قصتهم وهي {كَمَا بَلَّوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}.

و ال(ماذا) هو سرد الآيات لانطلاق الإخوة إلى المزرعة وجني الثمار صباحاً، ولكن وضعهم الآن اختلف عن الآية السابقة، ففي الأولى (فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ) فكان صوتهم جهوراً ولم يكن لديهم ما يخفونه، لكن ما إن انطلقوا في طريق المزرعة إلا وبدأوا يتهايمسون ويتحدثون بصوتٍ منخفض؛ ذلك أن موضوعهم هنا تغير عن الآية السابقة، فقد أصبح تذكير أنفسهم بالقسم الذي اتفقوا عليه ليلاً؛ ولا يريدون لأحد أن يسمعهم في تحاورهم وتخطيطهم، و(التخافت) تفاعل من خفت، إذ أسر الكلام.

و ال(أين) دل عليه فعل الانطلاق فهم بعد أن نادوا واتفقوا على الغدو لجني الثمار، انطلقوا؛ إذاً المركز الإشاري يبين أنهم في الطريق إلى المزرعة.

ال(متى) هو وقت الصباح؛ ذلك أن الآيات تتابعت في السرد، فهم نادوا وقت الصباح واستعدوا للانطلاق إلى العمل.

وضع المراكز الإشارية هو التحول ، فقد تحول ال (أين) من المنزل إلى طريق المزرعة ، أما المراكز الإشارية الأخرى فلم يطرأ عليها أي تغيير.

نأتي إلى المركز الإشاري الخامس مع الآية الكريمة {أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ} ، فنرى أن ال (من) لم تتغير وأن السرد في الآية لا يزال عن أصحاب المزرعة، فهو يتابع سرده للحدث قاصداً إليهم ، وكذلك ال (متى) لم تتغير وهو وقت الصباح ساعة انطلاقهم إلى العمل وجني الثمار ، وال (أين) أيضاً تشير أن موقعهم لا يزال في الطريق إلى المزرعة.

وفي المركز الإشاري ال (ماذا) يتابع القرآن الحدث الذي بدأوا فيه من ساعة انطلاقهم، وحديثهم مع بعضهم البعض بتخافت، فلماذا كانوا يتهايمسون ؟ نستدل على الإجابة من هذه الآية: {أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ}، فكان تخافتهم بسبب الموضوع الشائك الذي يتحاورون فيه، فقد ذكروا بعضهم بأحاديثهم في الليل، وأقسموا على القيام بها؛ وهي جني الثمار كلها وحرمان المساكين والأيتام من نصيبهم.

وحركة المراكز الإشارية هي الاستمرار، فوضع المراكز لم يتغير في هذه الآية وبقي ال (أين) يشير إلى طريق المزرعة، ولم يتغير ال (من) في الإشارة إلى أصحاب المزرعة ، وال (متى) في الإشارة إلى الصباح ، وال (ماذا) هو حديثهم سرًا عن اتفاقهم السابق.

يبدأ المركز الإشاري السادس من قوله تعالى : {وَعَدُوا عَلَىٰ حَرِّ قَادِرِينَ} ونلاحظ استمرارية المركز الإشاري في هذه الآية ، فلا زال القرآن يسرد لنا أحداث قصة أصحاب الجنة وهم يعبرون عن المشير ال (من)، والمكان نفسه في الطريق إلى مزرعتهم وهو تعبير عن ال (أين) ، وموضوع حديثهم نفسه وما يبيته هذه الآية هو تيقنهم من مرادهم وعدم تراجعهم عن القرار الذي اتخذوه وهو موضوع ال (ماذا)، وال (متى) هو وقت الصباح الذي أشارت إليه الآية السابقة في لفظة (مصباحين)، فنحن إذاً أمام حركة للمراكز الإشارية فيها استمرارية لأحداث السرد..

وجملة {وَعَدُوا عَلَىٰ حَرِّ قَادِرِينَ} في موضوع الحال بتقدير (قد) ، أي انطلقوا في حال كونهم قادرين على حرد . وفي الكلام تعريض بأنهم خابوا ، دلت عليه الآية التي تليها {فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ} ³¹.

تنتقل الآيات الكريمة إلى مركز إشاري كبير وهو السابع ، والذي يبدأ من الآية الكريمة : {فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ} (26) بَلْ نَحْنُ خَرُومُونَ (27) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29) .

³¹ انظر مرجع سابق: ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت1973م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). ص84

وال(من) هنا تنقسم إلى (من التبئير) وهم أصحاب المزرعة، ومن (المبارة) وهي المزرعة التي وقع عليها الفعل، والفعل هو النظر إليها واستنكار الحال الذي صارت إليه. ثم تنتقل الزاوية إلى حديث أحدهم وهو الأوسط بينهم، فيصبح هو من (التبئير)، وإخوته من (المبارة) { قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَمَّ أَقْلَ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ }.

أما ال (متى) فلا زال سرد الآيات يبين أنهم في الصباح، ولكن الوقت أصبح بعد ادراكهم ما حل بمزرعتهم من آفة ألحقت الضرر به.

و ال (أين) تبين أنهم انتقلوا من طريق المزرعة إلى داخل المزرعة وأول رؤيتهم لها.

ويعتبر هذا الحدث كبيراً، فالمشهد هنا ينقلنا إلى زمن السرد وكأننا نشاهد أصحاب المزرعة فور وصولهم إلى مزرعتهم، فال (ماذا) هو استنكارهم أنها مزرعتهم و شعورهم أنهم ضلّوا الطريق، فمن المستحيل أن تكون هي نفسها التي تركوها البارحة، وبعد أن تيقنوا أنها ليست بأخرى، وعرفوا أن حالها تبدل من خضراء يانعة إلى سوداء موحشة، لا ثمر فيها ولا شجر، ففطنوا إلى أن الله سمع تحاورهم وأراد عقابهم، وأنهم حرموا خيرها بعصيانهم أوامرهم، وجحودهم نعمته. بل في الآية (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) تدل على أنهم انتقلوا من وضع الشك إلى اليقين. وبعد أن عرفوا ما جرى في مزرعتهم التفت إليهم أوسطهم، قيل إنه أحسنهم وأعدلهم، والأوسط يطلق على الخير الأفضل قال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } – سورة البقرة [143]. وحكي هذا القول بدون عاطف ؛ لأنه قول مجرى المحاورة ، وهو جوابٌ عن قولهم (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ، قاله لهم على وجه توقيفهم على تصويب رأيه و خطل رأيهم. والاستفهام تقريرى ، و(لولا) حرف تضييض. والمراد ب(تسبحون) تنزيه الله عن أن يعصى أمره في شأن إعطاء زكاة ثمارهم³². وقد دلت الآية الكريمة أن أوسطهم قد حاول منعهم عن ذلك سابقاً في الآية (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)، فالآية تأخذنا إلى مشهدٍ سابق للفعل حينما كانوا يتشاورون، وبيّنت أن الأوسط كان له رأي مختلف عن إخوته، ولكن وقع عليه العذاب وحُرِمَ؛ ذلك أنه وافقهم في نهاية الأمر، وتبعهم لتحقيق مرادهم.

وردوا عليه في الآية التي تليها (قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) وكان جوابهم يتضمن إقراراً بالذنب، وبأنه فعلاً وعظهم وعصوه، ودلوا على ذلك بالتسبيح، وأظهروا ندمهم على عدم الأخذ بنصيحته فقالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين، أرادوا إجابة تقريره بإقرار تسبيح الله عن أن يعصى أمره في إعطاء حق المساكين، فإن من أصول التوبة تدارك الخطأ والرجوع عنه، والتسبيح مقدمة للاستغفار من الذنب ، قال تعالى : { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } – النصر [3] . ويفيد حرف إنَّ مع ذلك تعليلاً للتسبيح الذي

³² انظر مرجع سابق: ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت1973م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). ص86

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجًا
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

قبله. وحذف مفعول (ظالمين) ليعم ظلمهم أنفسهم بما فعلوه من سلب الفقراء نعمة قدرها الله لهم، وظلم المساكين في نصيبهم من الصرام³³.

وحركة المراكز الإشارية تفيد التحول؛ ذلك أن موضوع ال (ماذا) تعيّر من الأحاديث عن تخطيطهم لحرمات المساكين والفقراء، إلى سرد ما فعلوا بعد رؤيتهم ما حل في مزرعتهم من عذاب. وتغيّر المشير المكاني ال (أين) بعد أن كان في طريقهم إلى المزرعة بأنهم أصبحوا داخلها.

تنتقل الآية الكريمة إلى المركز الإشاري الثامن، وهو آخر المراكز الإشارية في سرد قصة أصحاب الجنة، ويبدأ هذا المركز من قوله تعالى: { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوُمُونَ (30) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32) }.

ولأن وضع المراكز الإشارية هي الاستمرار فنحن أمام تتابع لأحداث الآية السابقة، وتعتبر مشابحة لما قبلها، فال (أين) داخل المزرعة، و ال (متى) وقت الصباح وتحديداً بعد حدوث الآفة التي لحقت بمزرعة الإخوة وأهلكتها، و ال (من) هم أصحاب المزرعة يتحاورون ويتلاومون فيما بينهم.

أما ال (ماذا) فهو شعورهم بالصدمة فهم بعد أن استقر حالهم على التواطؤ في منع المساكين حقهم؛ أخذوا يلومون بعضهم البعض على ما فعلوه، فصورتهم الآيات كأنهم يتقاذفون هذا اللوم والاتهامات فيما بينهم، ودل عليه الفعل (يتلاومون) ولم يقل يلومون بعضهم، فكان فعلهم تماماً كمن يحاول التملص من الخطيئة وإلقاءها على الآخر، فحالمهم في إقبالهم على بعضهم "يشير إلى المهاجمة والتفريع، وأن صيغة التلاوم مع حذف متعلق التلاوم تصور في ذهن السامع صوراً من لوم بعضهم البعض"³⁴.

³³ انظر مرجع سابق: ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت1973م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). ص86-87

³⁴ انظر المرجع نفسه: ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت1973م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). ص88

وبعد أن هاجم كل واحدٍ منهم الآخر، أقروا بأنفسهم خطأهم جميعًا {قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ}، أي تجربنا ووصلنا إلى مرحلة الطغيان، وكفر النعمة والجحود بالله، وتكبرنا على الفقراء والمساكين وحرمانهم حقوقهم. والجملة تفيد التحسر والندم بما قاموا به ، والطغيان: تجاوز الحد المتعارف في الكبر والتعاضم ، فكأنهم يقولون إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ على حدود الله ، وَإِنَّا تفيد توكيدهم لهذا المعنى³⁵.

ومن ثم استأنفوا عن ندامتهم وتوبتهم، بأن وجهوا أيديهم إلى السماء تضرعًا قائلين: {عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ}، فهم يريدون الرجوع عما قاموا به ، ولا يرجون أن يؤاخذهم الله بذنبهم في الدنيا ولا في الآخرة، وأن يعوضهم عن جنتهم التي أهلكت بجنة أخرى خيرٌ منها ، وفي هذه الآية إشارة بأنهم يريدون التوبة إذا قُدر لهم رزق جنة أخرى فهم راغبون إلى الله ، وهو رجاء مشتمل على رغبة بالقبول والاستجابة، والتأكيد في إِنَّا للاهتمام بهذا التوجه. وذكر (ربنًا) مرتين في الآية دليل على شدة الندم ، والرغبة في التوبة النصوحة ، والعودة عن الأعمال السيئة.

ينتهي سرد قصة أصحاب الجنة بوضع خطابي يبدأ من الآية {كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}، فيختتم الله سرده لقصة أصحاب الجنة بالرجوع إلى تهديد المشركين المبدوء من قوله: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ} فالكلام فذلّة وخلاصة لما قبله وهو استئناف ابتدائي، والمشار إليه باسم الإشارة هو ما تضمنته القصة من تلف جنتهم، وما أحسوا به عند رؤيتها على تلك الحالة، وندمهم وحسرتهم. أي مثل ذلك يكون العذاب في الدنيا، فقلوه (كذلك) مسند مقدم، و(العذاب) مسند إليه، وتقلّم المسند للاهتمام بإحصار صورته في ذهن السامع³⁶: أي يا محمد لو عرف المشركون بعظم العذاب في الآخرة لعادوا كما عاد أصحاب الجنة الذين ذاقوا عذاب الدنيا؛ بحرمانهم من خيرات جنتهم، وعذاب الآخرة أكبر لو علم هؤلاء وذاقوا منه لما عادوا إلى ذنبهم، والكلام في ذلك يخصهم ويعم المشركين كافة.

³⁵ انظر مرجع سابق: ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت1973م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). ص

³⁶ انظر المرجع نفسه: ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت1973م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 17-33). ص89

الخاتمة:

يتضح من خلال دراستنا لسورة القلم، وتحديدًا لقصة أصحاب الجنة من منظور نظرية التحول الإشاري، أن هذا المفهوم رغم حداثة إلا أنه يمكننا القول إنه يمثل مفهومًا محوريًا في الدراسات النصية واللسانية الحديثة، حيث لا يقتصر على تقديم آليات فهم هذه النصوص، بل يتعدا ذلك إلى الكشف عن العلاقات الدلالية بين عناصر النص المختلفة، ونستخلص من بحثنا هذا عدة نتائج هي:

- 1- أظهرت نظرية التحول الإشاري إمكانية دراسة السرد القرآني بالتركيز على الإشارات الزمانية والمكانية والشخصية والموضوعية مما يعزز فهم النصوص وتحليلها .
 - 2- اعتماد النصوص على البنية المتناسكة المنبثقة من الإشارات اللغوية والتي بدورها تربط أجزاء النص بطريقة تعكس تطور الأحداث وتفاعل الشخصيات في عالم القصة.
 - 3- يبرز الدور الفعّال للمراكز الإشارية وحركتها في عالم القصة في توضيح المعاني والرسائل الربانية المتجذرة في القرآن الكريم، والتي بلا شك فيها العظة والعبرة التي لا تخفى على ذهنٍ لبيب وعاقل .
- في النهاية نستطيع القول إن نظرية التحول الإشاري تُعدُّ مجالًا خصبًا للدراسة، ذلك أنها تعزز من فهم النصوص والتعمق فيها، وتساعد أدواتها في بلورة الأفكار حول السرد، وأنها بما فيها من مراكز إشارية تُثَمِّلُ ال(من)، وال(ماذا)، وال(متى)، وال(أين) تحليلها يُمكن الباحث من الكشف عن الإمكانات اللغوية والسردية في النصوص القصصية في القرآن الكريم.

قائمة المراجع: 37

المصادر:

القرآن الكريم. سورة القلم (الآيات من 17 إلى 33).

المراجع:

1. جبر، عبد الحسن شريف. (2024). نظرية التحول الإشاري في حكاية مارغريت أتوود " الخادمة " : تحليل أسلوبى ادراكي. العراق. الجمعية العلمية للدراسات التربوية المستدامة. مج6، ع1،
 2. زوبين، ديفيد أ، و لين إ. هيويت. (2021). المركز الإشاري: نظرية للمشيريات في السرد. ترجمة د. أحمد نتوف و نورة محمد عقيلة. الجزائر. مجلة خطابات، ع4،
 3. غني، علي عبد الله. (2019). دراسة لنظرية الانتقال الإشاري بوصفه منهجًا أسلوبيًا في تحليل وجهة النظر في الخطاب السردى. بغداد. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية. مج58، ع2،
 4. نتوف، أحمد. (2021). قصص القرآن في ضوء نظرية التحول الإشاري : قصة أصحاب الكهف أنموذجًا. قطر. مؤسسة وعي للنشر. مج1،
 5. نتوف، أحمد. (2021). التحول الإشاري في القصص القرآني – قصة صاحب الجنين نموذجا. الجزائر. مجلة حوليات الآداب واللغة. مج9، ع19-03 أكتوبر 2021،
- المواقع الالكترونية:

1. ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت 1973 م). كتاب التحرير والتنوير: تفسير سورة القلم (الآيات 33-17). موقع إسلام ويب. ص 79-86. الدخول بتاريخ 2024/11/22
2. الإمام القرطبي. (ت 671 هـ). كتاب الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (سورة القلم، الآيات 33-17). موقع القرآن الكريم بجامعة الملك سعود. الدخول بتاريخ 2024/11/22
3. الإمام الطبراني. (ت 360 هـ). كتاب التفسير الكبير. (سورة القلم، الآيات 33-17). موقع التفاسير. الدخول بتاريخ 2024/12/2

العنوان : التحول الإشاري في القصص القرآنية – قصة أصحاب الجنة نموذجًا
Deictic Shift in Quranic Narratives: The Story of the People of the Garden as a Model

4. ابن أبي زمنين. (ت 399 هـ). كتاب تفسير القرآن العزيز. (سورة القلم، الآيات 17-33). موقع التفاسير. الدخول بتاريخ 2024/12/2
5. مقاتل بن سليمان. (ت 150 هـ). تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة القلم، الآيات 17-33). موقع التفاسير. الدخول بتاريخ 2024/12/2